التربية والتعليم في السجون المصرية

للأستاذ فتح الله محمد المرصفي ، مفتش التعليم بمصلحة السجون

١ — تمهيد :

لم يكن التعليم — فيما مضى منذ سنة ١٩٠١ — في السجون المصرية بالأمر الهام ، إذ كانت سياسة التعليم وانتشاره محدودة الأثر ، بين طبقات الأمة ، وخاصة العامة من الشعب والى عهد قريب أضحى التعليم في السجون ، وعلى الأخص في دور الاصلاحيات ، ركنا هاما من أركان الاصلاح والتهذيب . وما تلك النهضة ، وهذه الحركة المباركة إلا أثرا من آثار حركة الإصلاح والتجديد ، في نواحي الحياة العلمية ، من معاهد التعليم المختلفة ، في جميع أنحاء المملكة ... وما سجون مصر وإصلاحياتها ، إلا معاهد قامت على أسس نظريات الاصلاح والتهذيب منذ سنة ١٩٠١

٢ — التربية والتعليم :

فالتربية والتعليم في السجون ، قد تناولها تغيير كبير . فمدير السجون العام — اليوم — بما له من رغبة أكيدة في الاصلاح والتجديد ، قد هيأ من وسائل الاصلاح والتهذيب ، وبخاصة في محيط الأحداث الهمل وصغار المجرمين ، ما أصبح له أثر عظيم ، في حياتهم وتهذيب نفوسهم .

٣ — مدارس السجون :

(١) التعليم في مصلحة السجون ، يرجع عهده الى سنة ١٩٠٧ . بين الأطفال الهمل وصغار المجرمين ، من البنين والبنات ، وكذا المجرمين البالغين المعتادي الاجرام . وسنحاول — فيما يلي — أن نأتي على بيان ما تشرف عليه مصلحة السجون ، من معاهد اختصت بها طبيعة أعمالها ، في حدود قوانين الدولة ، وما قامت عليه أمثال تلك المعاهد ، من نظم وأغراض ، في غير بلادنا من العالم المتمدين . ففي مقدمة معاهد الاصلاح : مدرسة اصلاح الأحداث بالجيزة للبنين ، وهي مدرسة داخلية صناعية ، خصصت للأحداث الهمل ، المحكوم عليهم

بقانون التشرد رقم ٤ لسنة ١٩٠٨ ، وتجاورها مدرسة اصلاح البنات ، وهى مدرسة داخلية أيضا ، للتدبير المنزلى . و (ثالث) تلك المعاهد : مدرسة اصلاح الأحداث بالمرج ، داخلية زراعية ، وتعنى بفلاحة البساتين والصناعات الزراعية و(رابعها) مدرسة أحداث الغزل بالقناطر الخيرية ، وهى معدة لتعليم الأحداث صناعة الغزل . ولا يفوتنا أن نشير الى أن إصلاحية البنات ، تجمع ما بين تنفيذ كل من قانون التشرد وقانون العقوبات ، التى تصدر على من يلحق فيها من البنات ، وأما اصلاحية المرج ، فقد انفردت باصلاح صغار المجرمين من الأحداث المحكوم عليهم بقانون العقوبات . أما مصنع الغزل فقد أعد ليكون حلقة فى تخصيص الأحداث فى صناعة الغزل . وهؤلاء يكونون ممن أمضوا فى الحياة الصناعية بأحداث الجيزة ما لا يقل عن سنتين ، مع توافر شروط خاصة اقتضتها الحياة الصناعية بهذا المعهد وفائدة الغلام .

ويبلغ تعداد الأطفال الملحقين بهذه المعاهد اليوم نحو الفين ، منهم مائتان وخمسون بنتا . وهؤلاء الأحداث أصدرت عليهم محاكم الأحداث (وأخصها ثنتان : الأولى بالقاهرة وأنشئت سنة ١٩٠٥ ، والثانية بالأسكندرية وأنشئت سنة ١٩٠٦) أحكاما تقضى عليهم بالوضع بإصلاحيات الأحداث ، طبقا لقانون التشرد رقم ٤ لسنة ١٩٠٨ ، وقانون العقوبات لسنة ١٩٠٤ المعدل فى سنة ٣١ و ٣٣ و ١٩٣٧

(ب) ومدرسة إصلاح الرجال Adult Reformatory ، وهى معهد داخلى صناعى ، والتعليم فيه الزامى على كل مجرم حديث بالإصلاحية ، غير ملم بالقراءة والكتابة ، وهو يكفل للمجرم الحصول على امتيازات لها شأنها فى إصلاح حاله ، وأخص تلك الامتيازات : الافراج عن المجرم قبل نهاية المدة المحكوم عليه بها ، وفوق هذا وذاك ما قد يتعلمه من صناعة تكفيه العوز والحاجة ، بل تكفيه العودة الى الإجرام .

(ج) ومن بين مدارس السجون ، مدرسة أولية ، لتعليم أبناء الموظفين والمستخدمين والقائمين بالخدمة فى السجون الكبرى ، وهى تنشأ بجانب الليمانات (ليمان كلمة تركية معناها مرفأ ، أطلقت على سجون الأشغال الشاقة والمؤبدة التى تبعد كثيرا عن المدن الآهلة بالمدارس المختلفة) .

(د) وبجانب المدارس الأولية ، مدارس لتعليم صف وعساكر النظام بالمصلحة مبادئ القراءة والكتابة والحساب ، وأصول الدين الحنيف ، وبعض السور

والآيات القرآنية الكريمة، التى لاغنى عنها فى إقامة الصلاة، وشعائر الدين القويم، وهؤلاء العساكر يتولون الخدمة بالسجون بعد انقضاء مدة الخدمة العسكرية الإلزامية كسجانين فى السجون العامة لرقابة السجناء . والمصلحة اليوم لم تأل جهدا فى رفع مستوى التعليم لهذه الطائفة بما يتفق وحالتهم مدة إقامتهم فى السجون ومباشرتهم للسجناء .

٤ — المشتغلون بالتعليم :

وطبعى أن يصادف المشتغلون منا بالتعليم فى مدارس السجون ، وأخصها مدارس الإصلاحيات ، صعوبات متعددة مختلفة لا حد لها ولا نهاية ، ولا نبالغ إذا قررنا أن الكثيرين من الأطفال بيننا من الشواذ ، وهؤلاء ممن أستعصى حل معضلاتهم على والديهم وذوى قرباهم ، فأصبحوا طريدى الأهل والأقارب . وكثير منهم لم تتسع لهم صدور معلميهم ، سواء فى المدارس أو المصانع التى كانوا يتلقون فيها العلم والصناعة ، وسوف يأتى اليوم القريب الذى نستخدم فيه مقياس الذكاء واختبارات الصناعة لنسد الفراغ العظيم الذى نرى أن الحاجة ماسة اليه . وليس هذا فى إصلاحيات الأحداث فحسب بل فى جميع مراحل التعليم بوزارة المعارف العمومية .

٥ — نظام منح المكافآت المالية والأدبية :

ليس أحق من التقدير والاستحقاق فى نواحى الحياة العلمية والصناعية والخلقية فى مدارس الإصلاحيات من هؤلاء الأطفال الذين كانوا طريدى الأهل ، ومنبوذى الهيئة الاجتماعية ، فهم والحال هذه ليس لهم نصيب فى العلم والتعليم . كما لم يستمتعوا بالشفقة والحنان الأبوى ، ولم يسعدهم الحظ فينالوا قسطهم من التشجيع ، ولم يحظوا بكلمة شكر أو ثناء ، لهذا فهم أحوج الى نظم تقوم على أساس التشجيع ، وتثير فيهم تلك الميول الفطرية ، فما هم إلا أطفال لهم ما لأطفالنا من حق الطبيعة عليهم ، فليس بغريب أن تأخذ مصلحة السجون هؤلاء الأطفال بنظم الامتيازات والمكافآت على تنوعها لتدفع فيهم الرغبة الصادقة الأكيدة ، فى العلم والتعليم والصناعة ، وتكوين حسن الخلق فيهم و إن المقام ليضيق بنا إذا حاولنا أن نأتى على تفصيل نظام منح المكافآت على اختلاف أنواعها ، والإشارة الى ذلك تغنى عن التعبير .

٦ — المناهج الدراسية العلمية والعملية :

(١) لقد عنيت مصلحة السجون عناية خاصة فى السنوات الأخيرة باستقرار مناهج التعليم العلمى والعملى فى مدارس الاصلاحيات ، فوضعتها على أن يكون الغرض الأول : إعداد الأطفال صناعيا وعلميا لمكافحة الحياة بالطرق الشريفة حيث

تشمل معظم الصناعات المحلية من جهة، والفلاحة والصناعات الزراعية من جهة أخرى، و الحياة المنزلية وما اليها التربية البدنية ، مضافا الى ذلك منهاج تعليمي أولى أخص مايدورحوله تحفيظ مالايقل عن جزءين من القرآن الكريم والمبادئ الضرورية الأولية من الدين الحنيف والتهذيب واللغة العربية (المطالعة والاملاء والانشاء والمحادثة والأناشيد) والحساب على قدر معلوم والمعلومات العامة (الجغرافيا والتدبير الصحي والمنزلي والأشياء والتاريخ) والرسم النظري العام والرسم الصناعي) الذي يختص به فريق الأطفال الملحقين بالصناعات التي تستلزمها الاحاطة بتلك المادة من أحداث الجيرة، وفوق هذا مايحيط به الطفل من جميع نواحي الحياة مدة إقامته .

(ب) الكتب الدراسية : وعلى هذا فان ما تسير عليه مدارس المصلحة من كتب ومقررات دراسية وفق ما تصدره وزارة المعارف العمومية فى جميع مدارسها الأولية ومكاتبها العامة .

٧ — التربية الدينية :

لما كانت التربية الدينية بين الأطفال الحجر الأساسي فى تهذيبهم وتنشئتهم ، لم يغفل أولو الشأن الإهتمام بتعليمها والعمل على إقامة الشعائر الدينية ، فساد دور الاصلاحيات الاعتصام بالدين وفضائله وحبست بين الأطفال بيئة دينية تهديهم سواء السبيل .

٨ — المدرسون :

إن القائمين بشئون التعليم فى هذه المعاهد على اختلاف نواحيها ووجهة نظرها و إعداد الأطفال وتدريبهم على الحياة العملية، رجل ذو مؤهلات علمية و إجازات دراسية من مدارس المعلمين، وأحسنها التعليم الأولى ، والمدارس الصناعية والفنون التطبيقية والمدارس الزراعية التابعة لوزارة المعارف العمومية .

٩ — أوقات الفراغ :

وضع لها برنامج واسع النطاق لمختلف الألعاب الرياضية من معاهد الاصلاحيات، وقد تعدتها اليوم الى مدارس صف وعساكر النظام بالمصلحة، ويشتمل هذا البرنامج على كرة القدم وكرة الشبكة والألعاب السويدية المختلفة ، والتمارين العسكرية ، قديمها وحديثها ، وقد كان لها الأثر العظيم فى صحة الأجسام وسلامة العقول .

ومن مميزات هذه النهضة الحديثة فى دور الاصلاحيات، أن دبت روح التمثيل الأدبى بين الأطفال فاختيرت المقطوعات والأناشيد القومية والتاريخية الحماسية الوطنية، وكل مالا يرمى نيل من تلك العواطف الشريفة ، نحو عزة النفس وكرامتها، إلى تذوق الحرية وما يدعو الى الشعور الحى و لوجدان الصادق .

أضف إلى ذلك إقامة الشعائر الدينية على الوجه الأكمل ، ومشاهدة الخيالة "السينما" باستعراض الموضوعات الأدبية والعلمية ، ومطالعة كتب الأطفال المختارة المسلية المفيدة ، حيث أنشئت مكتبة خاصة للأطفال فى كل مدرسة من مدارس الاصلاحيات ، ووضع نظام يكفل تحقيق تشجيع الأحداث على المطالعة الحرة .

وفى يقينى أن كل ما يحيط الأطفال من أنواع التسلية فى أوقات الفراغ ، لهو أفيد بكثير فى تنشئتهم وله بالغ الأثر فى حياتهم ، وتهذيبهم ، من أن يلقنوا دروسا قد لا تعود عليهم بفائدة تذكر فى حياتهم العملية بعد .

تفتيش التعليم :

الغرض منه مراقبة طرائق التعليم على اختلافها ، وما يبذل من مجهود فى رفع مستوى تعليم الطلبة فى جميع نواحى حياتهم العلمية والصناعية والزراعية بمدارس السجون ، وذلك تحت رقابة المدير العام ، على أن يقوم بالتفتيش إخصائيون فنيون يشرفون على كل ناحية من تلك النواحى كل فيما يخصه ، فمفتش التعليم يتناول الأشراف على نواحى الحياة العلمية ومفتش الزراعة يتناول نواحى الحياة الزراعية ، وأخيرا مدير الصناعات يتناول التفتيش على الحياة الصناعية . وكل ما نأمله ونرجوه فى المستقبل القريب وفى عهد النهضة القومية وفى ظل الحياة النيابية أن يشمل التعليم جميع السجون ، ليمكن للمصلحة تأدية رسالتها فى إزالة الأمية ، وهى جادة فى كل ما يعود على إصلاح المسجونين . فهم وإن كانوا من الطبقة العامة من الشعب ، إلا أنهم أعضاء الأمة العاملين فى جسمها وحياتها .

إنارة الرأى العام :

وإنه لجدير بنا أن نشير إلى انتباه القوم واستيقاظ الرأى العام فى السنوات القليلة الماضية إلى وجوب العناية برعاية الطفل ، وبحث مشكلة الأطفال الهمل وصغار المجرمين وتلك ناحية يجهلها الخاص والعام من الناس .

ولقد كان للجهود التى بذلتها مصلحة السجون فى تلك السنوات ، من حيث إقامة الحفلات الرياضية وحضور علية القوم ورجال الحكومة وجمهرة الشعب فيها . وفوق هذا ما أذاعه أولو الشأن لأول مرة فى التقرير السنوى ، الذى شمل كل نواحى الحياة فى السجون المصرية ، ما قد أثار اهتمام الجمهور والرأى العام ، وحفز قادة الفكر فى الأمة إلى ما ينبغى اتخاذه نحو معضلة باتت من الأهمية بمكان ، من حيث الوقاية من الجريمة ووجوب انتشار الأمن فى ربوع البلاد . وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ .

محمد فتح الله المرصفى